من محفوظات دير سانت كاترين

العلاقات بين الأعراب ورهبان دير سانت كاترين

بشبه جزيرة سيناء فى القرن السابع عشر

للدكتور حسن حبشى

يعيش البدو فى شبه جزيرة سيناء حتى اليوم حياة بدائية بسيطة . وليس هناك ما يدعو إلى الظن بأنها تختلف كثيراً عما كانت عليه منذ أقدم العصور . ولكن مما لا شك فيه أن بناء دير سانت كاترين فى عهد الامبراطور البيزنطى جستنيان فى القرن السادس قد أخل قليلا ببعض مظاهر الحياة الرتيبة التى كانت سائدة وقتئذ . فوجود الدير حتم قيام علاقات بين الأعراب والقائمين بأمر الدير .

وبظهور الاسلام ومجيئه إلى مصر كان لابد للدير من أسس تنظم علاقاته مع المسلمين المحيطين به . ورغم ان الاسلام قد نظم العلاقات بين المسلمين وأهل الذمة ، فان رهبان الدير يصرون على أن هناك عهدا من الرسول بحماية الدير . ويستند الرهبان إلى ذلك العهد ، حتى اليوم ، فى التمسك بحقوقهم التى لم ينازعهم فيها أحد .

هذا العهد — كما تذكر مخطوطات الدير — أملاه الرسول صلى الله عليه وسلم وكتبه على بن أبى طالب بخطه فى مسجد النبى فى الثالث من المحرم فى السنة الثانية من الهجرة . وعليه توقيع الصحابة ومن بينهم خلفاء المستقبل أبو بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب . وتوجد بالدير ثمان نسخ مخطوطة باللغة العربية لذلك العهد . كتبت فى أزمنة متفاوتة وهى تختلف فى النص ولكنها متفقة فى المعنى .

والعهد موجه إلى كافة النصارى أجمعين وإلى الأمة الاسلامية وفيه يعطى الرسول صلى الله عليه وسلم النصارى عهد الله وميثاقه ، ان يحميهم وأن يذب عنهم وعن كنائسهم وبيوت صلواتهم ومواضع الرهبان فى الجبال والوديان ، وألا يهدم بيت من بيوت كنائسهم ولا يدخل شيء من مال كنائسهم فى بناء مسجد من مساجد المسلمين . كذلك لا تفرض على الرهبان والأساقفه ولا من تعبد منهم جزية ولا غرامة ولا يلزم من تفرد منهم للعباده فى المواضع المباركةمما زرعوه لاخراجولا عشر ولا قيام بجزية(١)

ولم يشك أحد من خلفاء وسلاطين المسلمين فى صحة ذلك العهد (٢). وتذكر مخطوطات الدير أنه بعد مجيء السلطان سليم إلى مصر ، ذهب اليه الرهبان وعرضوا عليه « العهدة النبوية الشريفة » ، « ففرح بها أكثر من تملكه لمدينة القاهرة » (٣) وقد ذكر العهد فى مراسيم أصدرها السلطان التركى محمد الثانى فى عام ١٤٥٧ ، والسلطان سليم فى عام ١٥١٧ . والسلطان عبد العزيز فى عام ١٨٦٨ ، والسلطان عبد الحميد فى عام ١٩٠٤(٤)

وذلك العهد وتلك الفرمانات والأوامر العديدة المتتابعة التى أصدرها حكام وسلاطين مصر وتركيا على مر العهود ، تضع دير سانت كاترين وسكانه وممتلكاته تحت الحماية الخاصة لخلفاء المسلمين وحكامهم وسلاطينهم . ومن هذا يتبين أن علاقات الرهبان مع السلطات الاسلامية على مر العصور كانت رائعة . ولم يكن أحد من الحكام يجرؤ على ايقاع الظلم أو الحيف بهم . حدث مثلا فى قلعة الطور فى شعبان عام ١٠٩٣ هـ (١٦٨٢م) أن حضر

---

(١) مخطوطات «دير سانت كاترين» . أرقام ١ و٢ و٣ و٤ و٥ و٦٥٩ ، ٦٩٦ ، ٩٦١

(٢) Habino, M. H. L., Le Monastere De sainte - Catherine Du Mont sinai Le caire, 1938, p. 40.

(٣) مخطوط رقم ٢٢٥٣ (يوناني) — (حوليات ومعاهدات . ص ٤٢) ، أنظر أيضاً : كتاب تاريخ الدير — مخطوط عربي كتب عام ١٨٢٥ م — مكتبة الدير — رقم ٦٩٢ (عربي) — ص ٣

(٤) Habino, op, cit, p. 40.

« سيدى محمد بن الشيخ عمر الزكور مستحفظان قلعة الطور والناظر على المسجد الكائن بالقلعة » وادعى «بحضرة فخرالأغوات ومعون أرباب السعادات الأمير صفر اغا آغات قلعة الطور » أن بداخل بساتين الرهبان بالطور نخيل وقف على المسجد المذكور ، وأن على الرهبان تعهد وحراسة ثمره وتنظيف أرضه ... الخ .. وأنكر الرهبان ذلك . فأمر الحاكم الأمير صفر الناظر باثبات كلامه . فلم يستطيع اثبات ذلك لا بالشهود ولا بسجلات القلعة . «فصح وثبت لدى المحاكم أن ليس عليهم شيئاً من ذلك» . وكتبت لهم حجة شرعية بذلك (١).

ولكن ذلك لم يمنع البدو أحياناً من الاعتداء على الدير أو ممتلكاته ورهبانه حينما تسنح الفرصة بذلك . وهناك مخطوط يرجع إلى القرن السابع عشر أفرد معظمه لاثبات الاعتداءات التى حدثت فى فترات من ذلك القرن والمجالس التى عقدت بشأنها . وكان الاعتداء يتم باشكال مختلفة . فقد يعتدى الأشقياء من البدو على الرهبان بالضرب أو السب ، أو هدم جزء من حائط الدير أو « دخول الكرم بالغصب .. وهز المشمش وخرط اللوز » . أو تطف التين والعنب أو طلب الطعام ، والحصول عليه بالقوة ؛ (٢) أو أخذ الأجرة بالقوة (٣). وكلما زادت حوادث الاعتداء — وكانت تتفاوت بين التفاهة والخطورة — كلما كثرت شكاوى الرهبان إلى الحاكم يذكرونه بعهد الرسول وحمايته لهم ، فتصدر الأوامر والفرمانات مؤكدة العهد ومجددة أياه ومتوعدة بالعقاب الذى قد يصل إلى حد الاعدام — لمن تسول له نفسه مخالفة الأوامر العالية ومس الدير أو ممتلكاته أو سكانه بسوء . وعلى ذلك يمكن القول أن هذه

---

(١) مخطوط رقم ٢٢٥٣ (يونانى) — ص ٢٦

(٢) مخطوط رقم 2318 A (يونانى) صفحات ١٢٣ و١٤٦ و١٣٨ و١٥١ . كتبت فى سنوات ١٠٢٩ و ١٠٣٧ و١٠٥٩ هـ . (١٦١٩ ، ١٦٢٧ ، ١٦٤٩ م) .

(٣) يقول المخطوط عن انتصاب أجر الحراسة مقدماً «أخذها بالغصب لأن النفرة كانت معه سلف » .

(انظر مخطوط رقم ٢٢٥٨ (يونانى) . سنة ١٠٤٣ هـ (١٦٣٣م) . ص — ٩١ .

الفرمانات من حيث قلة عددها أو كثرتها — انما تعكس حالة الاستقرار أو الفوضى فى المنطقة . فمن القرن السادس عشر ، وعقب الفتح العثمانى لمصر ، تحتوى مكتبة الدير على ثلاثة وخمسين فرماناً . بينما لا تحتوى فى القرن السابع عشر الا على فرمان واحد كتب فى شعبان سنة ١٠٩١ هـ (١٦٨٠ م) . أما فى القرن الثامن عشر فلا تحتوى المكتبة الا على ثمانية فرمانات واحد منها يرجع إلى أوائل القرن (١٧٠٨) والسبعة الباقية كتبت فى الفترة ما بين عامى ١٧٧٢ ، ١٧٩٨ م . أما فى القرن التاسع عشر فهناك عشرة فرمانات صدر معظمها فى عهد محمد على . (١)

والبدو فى المنطقة كانوا — وما يزالون — يرتبطون بالدير ارتباطهم بالماء والزرع أينما وجدا . فأجيال البدو تجىء وتروح ، وتندثر قبائل وتظهر أخرى ، والدير باق صامد شامخ . فهو مشيد على شكل قلعة متينة ليقاوم البشر والزمان معاً . والدير بأملاكه وحدائقه ورهبانه يمثل جزءاً من حياة أهل المنطقة . والعلاقة بين الدير والبدو هى علاقة مصلحة مشتركة قبل كل شىء . فالدير يستخدم البدو كقوة بشرية يحتاجها لمختلف الخدمات . ومكتبة الدير غاصة بالاتفاقات والمعاهدات مع مشايخ العربان على مر العصور . وهو ما تعبر عنه مخطوطات الدير بلفظ « شورة » أو « شورى » وهذه اتفاقيات يلتزم فيها المشايخ بالتزامات معينة وتحدد مسئولياتهم وأعمالهم . وبمقتضى قرارات تلك « الشورى » يطمئن الرهبان إلى حقوقهم ازاء الاعراب ويأمنون على أنفسهم تجاههم . تقول المخطوطات مثلا أن « محمد ابن كليب الصالحى من طايفة العوارمة حصل منه أسية عليهم بالدير وأخذ منهم ألف نصف فضة » ولكن المجلس يعقد بحضور « شيخ العرب صقر منصور صيام العابدى شيخ عربان العابد » ويدفع المبلغ إلى الرهبان . (٢) وبعض تلك « الشورات » أو الاجتماعات كان يحضرها كبار مشايخ العرب . ويسمونها حينئذ « شورة

---

(١) هذا استنتاج محوط بالتحفظ . فتلك هى الفرمانات المكتوبة بالعربية ثم أن هناك احتمال بضياع أو تلف بعض ما وجد بالدير من وثائق فى هذه الفترة أو تلك .

(٢) مخطوط ٢٢٥٨ (يونانى) — ص ٣٢٤ (١٠٨١ هـ — ١٦٧٠ م) .

عظيمة » ، كتلك التى حضرها شيخ العرب موسى بن الأمير محمد المسور شيخ عربان العابد المصريين والسامين (١) . ولم تذكر المخطوطات مكان عقد هذه الشورات . ولكنها غالباً ما كانت تعقد داخل الدير — كما يؤكد الرهبان الذين عاصروا هذه المجالس إلى عهد قريب . وذكرت المخطوطات فى بعض المواضع أن الرهبان ذهبوا إلى بيوت الاعراب للتشاور معهم فى بعض الأمور (٢) .

والبدو فى المنطقة يفخرون بوجود الدير بين ظهرانيهم . وهم يعتبرونه ديرهم ويعتزون بالأماكن المقدسة التى تحوطه : فهناك الأماكن المقدسة التى نزل بها سيدنا موسى ، وعلى وجه الخصوص ذلك الجبل الذى يؤكدون أن سيدنا موسى قد كلم عنده الله سبحانه وتعالى .

وعلى كل تلك الأسس قامت العلاقة بين الدير ورهبانه وبين البدو بالمنطقة . وهؤلاء كانوا متعددى القبائل فى الفترة موضوع البحث . وبعض تلك القبائل لا يزال موجوداً حتى اليوم كقبيلة الجبالية : ومن هذه القبائل التى ذكرتها المخطوطات أولاد سعيد والصوالحة والقلقاه ، وهذه كانت تتمسك بحقها فى توريد الملح للدير ، وكذلك أولاد واصل . ثم « غفراء » الدير أى حراسه من العوازمة والزهيرات والعليقات . (٣) أما الجبالية فكانوا « فلاحين » الدير أى عماله . كذلك كانت توجد قبائل العابد وعربان أولاد على العوازمة والبراغشة .

---

(١) مخطوط رقم ٦٨٨ (عربى) — ص — ٤٠ (كتبت عام ٩٣٣ هـ ١٥٢٦م)

(٢) مخطوط رقم ٢٢٥٨ (يونانى) — ص ١١٥ — دون تاريخ (قرن ١٧) .

(٣) نزح بعض أفراد قبيلة العليقات بحدثة جنوباً فى وادى التيل وسكنوا المنطقة المعروفة حالياً بالنوبة باسم وادى العرب. ويدور فى تلك الأيام — بمناسبة تهجير أهل النوبة الى الشمال قبل أن تغمر مياه السد العالى أراضيهم — جدل حول مجىء القبائل العربية الى ذلك الجزء من النوبة وتضاربت أقوال الناس هناك . ولكن لايزال البعض منهم يذكر أن قبائل العليقات جاءت من صحراء حيث كانت تقيم الى جوار دير سانت كاترين تنقل الحجارة وتعمل فى حراسة رهبان الدير من قطاع الطرق .

أنظر : جريدة الأهرام — ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٦٣ — ص ٣ (تحقيق عن : كيف تمضى حياة الناس فى منطقة بلاد العرب بالنوبة) .

وكان الرهبان يتمتعون بمركز ممتاز ونفوذ واضح بين قبائل البدو . وهم يتمتعون بذلك النفوذ عن طريق أحكام المجالس التي يعقدونها مع مشايخ الأعراب . ويرجع جانب من ذلك النفوذ أيضاً إلى حاجة البدو اليهم ، كما أن جانباً آخر منه كان وراثياً تقليدياً . فقد تتأزم الأمور بين الأعراب والرهبان وهنا يهدد الرهبان باغلاق الدير . ويعلم الاعراب بعزم الرهبان على اغلاق الدير والتوجه إلى القاهرة والتفرق فى الطور والعودة إلى بلادهم فينزعجون أشد الانزعاج . فهم يعتبرون الدير ديرهم (١) ويطلبون من الرهبان البقاء بالدير وعدم اغلاقه . ويبدون استعدادهم للعمل على راحتهم وتهيئة سبيل العيش والاقامة لهم كيفما يرون (٢) . ويتكرر تهديد الرهبان بهجران الدير فى القرن الثامن عشر أيضاً . يعرض الرهبان أن « يفوتوا الدير والبلاد » ويجيب الاعراب « لايا رهبان نحن ما نرضاه ولا نريد فى خراب الدير والبلاد وكرومنا »(٣) . وأحياناً كان الرهبان يقومون بتنفيذ هذا النوع من المقاطعة مع الاعراب فيكون بمثابة درس لهم . وقد حدثت تجربة من هذا القبيل فى أوائل القرن السابع عشر إذ ترك الرهبان مزارعهم وكرومهم دون عناية لعدة سنوات . وكان للدير بساتين وأملاك فى الوادى والجبل وفى الطور وفى فيران ، كما كانت لهم أوقاف فى غزة (٤) . والبدو فى حاجة إلى ما يهبه لهم الرهبان من محصولها ومن أجر نظير خدماتهم لهم وحراستهم لها . ولم يكن الاعراب — من ناحية أخرى — ليجرؤن على تعمير تلك المزارع فهى أملاك للدير . ولذلك ، يجيء الاعراب إلى الرهبان يسألونهم رضاهم واعادة تعمير الدير . وقد جاء فى مخطوط يرجع إلى عام ١٠١١ هـ . (١٦٠٢ م) :

---

(١) مخطوط رقم ٢٢٥٣ (يونانى) — ص ٦٣ — (١٠٩٣ هـ — ١٦٨٢ م)

(٢) نفس المصدر السابق .

(٣) مخطوط رقم ٢٢٥٨ (يونانى) ص ٨٢ — (١١٣٩ هـ — ١٧٢٦ م)

(٤) انظر مخطوط رقم ٦٨٨ (عربى) ص ٢٩ (١٠٨٠ هـ — ١٦٦٩ م) وكذلك مخطوط رقم ٢٢٥٨ (يونانى) ص ٣١٨ (١٠٣٣ هـ — ١٦٢٣ م) .

« أن الغفران كلموا الرهبان من يم عمار (ة) كرم الطور لأن الرهبان كان لهم واحد وعشرين سنة لم عمروه لأجل أن العربان غفراً وغيرهم كانوا يتعبوا الرهبان ويشوشوا عليهم . ولا يخلوا الرهبان يرتاحو فى عمارت الكرم فتركوه كل هذه المدة من أجل خناق العرب . وبعد مدة قاموا الغفران وقالوا للرهبان نحن نريحكم كل راحة .. بس عمروا الكرم حتا ينتفع الدير ويترزقوا المساكين من محنة الرهبان . وأما نحن لكم علينا شرط الله وما أعز من الله أحداً أن الذى لنا لم نطلب منه شيئاً الا برضا خاطركم .. » (١)

وعلاقة الرهبان بقبيلة الجبالية — وهى علاقة تقليدية ترجع إلى ما قبل القرن السابع عشر بقرون — تمثل جانباً من تمتع الرهبان بنفوذهم فى المنطقة . كان للدير خدم من « الجبالية فلاحين الدير (٢) » . وكان على هؤلاء «الجبالية» خدمة الدير والرهبان وخدمة ما يتعلق بهم من البساتين بالاتفاق مع الرهبان . وهم يقومون بذلك العمل كآبائهم وأجدادهم كما جرت عليه التقاليد وبأجر متفق عليه . ومن المفروض أيضاً أن يتولى ذلك العمل أبناؤهم وأحفادهم من بعدهم . وكانت هناك اتفاقيات معينة بين الرهبان والجبالية ، يرجع بعضها إلى ما قبل القرن السابع عشر ، وتحدد نوع العمل والعلاقة بين الجانبين ونوع العقاب الذى يوقع على من ينكث بالعهد من الأعراب . ومما جاء فى صدد تلك العقوبات :

« ويوم أن يزل واحد مع الرهبان يسوق عليه على قدر زلته ويثوروا عليه ويأخذ الراهب من الجبالى عشرة غروش لأجل الزلة الذى عملها . والثوارين لهم سبع روس معزة

---

(١) مخطوط رقم ٢٢٥٣ (يونانى) ص ٢٤ (١٠١١ هـ — ١٦٠٢ م) .
(٢) نفس المرجع السابق — ص — ٢٩ — (١٠٨٠ هـ — ١٦٦٩ م) .

يأكلوهم ويشيلوا من قريته من كل ركن أربع حجارة ويسوقوا عليه على قدر زلته والخاين ارفاقه يقطعوا أيده لأجل أنه خاين وان استجار فى أحد ما له جيرة من العرب وغيرهم ..» (١)

ويستند الرهبان فى علاقاتهم مع « الجبالية » وخدمتهم لهم جيلا بعد جيلا إلى ما يذكرونه فى مخطوطاتهم عن ارسال « يوستينيانوس » أى جستنيان لمائة رجل من عبيد الروم نسائهم وصبيانهم — عقب بناء الدير مباشرة — ليكونوا فى خدمة الدير ورهبانه . (فأرسل « يوستينيانوس » إلى البحر الأسود إلى بلاد الافلاخ وجاب ماية عيلة وحريمهم وأولادهم وأرسلهم إلى مصر وكتب إلى الحاكم المتولى فى مصر تاودروس حتى أنه يرسل ماية عيله من عنده رجلا وحريمهم وأولادهم) (٢) . وكان الرهبان يسردون قصة عبيد الدير هذه للاعراب فى المجالس التى تعقد لفض النزعات بينهم وبين الأعراب وتنظيم العلاقة بينهما وتحديد نوع العمل . وتستطرد المخطوطات قائلة أن الامبراطور بنى لهؤلاء العبيد خارج الدير فى الناحية الشرقية منه بيوتاً للسكنى فى مكان يبعد عن الدير ثمانية أميال . (٣) أما عن مصيرهم فتذكر المخطوطات :

« وحتم الملك المعظم يوستينيانوس بأن يكونوا عبيداً إلى الدير هم وحريمهم وأولادهم إلى أبد الأبدين إلى أن الله يرث الأرض وما عليها حتى يحرسوا ويخدموا الرهبان والدير فى كل خدمة وأنهم يكونوا فى طاعة الدير والرهبان لكى لا يخالفوا أبداً » (٤)

---

(١) مخطوط رقم ٩٨٨ (عربى) ص — ٢٩ — (١٠٨٠ هـ — ١٦٦٩ م) .

(٢) كتاب تاريخ الدير مخطوط رقم ٦٩٢ (عربى) ص — ١ — ٢ . (١٨٢٥ م) .

(٣) نفس المرجع السابق .

أنظر كذلك مخطوط رقم ٢٢٥٣ (يونانى) — ص — ٤٢ . (القرن ١٧) . يذكر ذلك المخطوط أيضا قصة «غلمان الدير» ويقول ان موقع مساكن هؤلاء العبيد كانت تسمى — وقت كتابة المخطوط — بدير العبيد . وبسؤالنا الأهالى عن تلك المنطقة اجابوا أنها تسمى الآن (دير الفجارى) أى دير الفقراء .

(٤) المرجع السابق ص — ٢ .

ويستطرد الرهبان فى قصتهم فيقولون أن هؤلاء العبيد توالدوا وتكاثروا ثم جاء الاسلام وصار أولادهم مسلمين ويسمون غلمان الدير . كذلك يقولون أنه لما جاء السلطان سليم إلى مصر ذهب اليه العبيد وقالوا أنهم دخلوا فى دين الاسلام وطلبوا منه أن يطلق سبيلهم ويعتقهم من العبودية . « فرحب سليم برجوعهم من الضلالة إلى دين الاسلام ولكنه رفض عتقهم من عبوديتهم » (١). ويقول الرهبان أن سليم لم يكتف بذلك بل أضاف إلى أعباء هؤلاء العبيد أعباء أخرى « اكراماً للدراويش والفقراء والمساكين الموجودين بالحرم الشريف » (٢) . وبعد حوالى مائة سنة استعان العبيد بالرهبان لدفع هذا الظلم عنهم . وبعد مدة انفق الرهبان أموالا كثيرة فى سبيل ذلك — ولم تظهر المخطوطات أوجه صرف هذه الأموال بالدقة — استطاع الرهبان رفع سائر الظلم والسخرة الذى كان السلطان سليم قد الزم العبيد به (٣) . ويقول الرهبان كذلك فى مواضع أخرى من مخطوطاتهم أنه بمجيء الاسلام تطاحن هؤلاء العبيد وتشاحنوا فقتل من قتل وهرب من هرب إلى الشام وأسلم من أسلم منهم فخرب الرهبان منازلهم بعد أن أسلموا وتفرقوا لئلا يسكن فيها أحد . أما الذين بقوا فكانوا قليلين ولم يستطيعوا حماية أنفسهم من الأعراب . وبعدئذ تم الاتفاق بين الرهبان والأعراب على أن يعطى الرهبان كروم الدير إلى الأعراب وكذلك يسلمون صبيان الدير إلى قبيلة المحاسنة كوديعة (٤) .

ولكن الرهبان على أية حال لم يذكروا تواريخ محددة أو تقريبية لتلك الوقائع . انما هذه كانت قصصاً يرددونها للاعراب الذين يبدو أنهم غالباً ما كانوا يصدقون رواياتهم . وحتى عند اختلاف الأعراب مع الرهبان على أمر ما — وقد يصل إلى حد اتهام الأعراب للرهبان بقتل أحدهم — يكتفى الأعراب بطلب قسم الرهبان مثل عادة العرب . فيحلفونهم « أربعة

---

(١) مخطوط رقم ٢٢٥٣ (يوناني) — ص ٤٢ .

(٢) ، (٣) — نفس المرجع السابق .

(٤) كتاب تاريخ الدير — مخطوط رقم ٦٩٢ (عربي) — ص ٤ .

وأربعين كلمة أنهم سالمين من جلال (أى القتيل) المذكور » ثم يتصادقون على اتفاق معين(١) .

وكان البدو أيضاً يقومون بخدمات متعددة للدير . فكانوا يجيئون للدير باحتياجاته من مئونة وحطب وغير ذلك . ويبدو أنه كان هناك بعض من الاختصاص لكل قبيلة فى تزويد الدير بنوع من المئونة أو حملها . وفى « الشورة » المعقودة عام ١٠٨٧ هـ تذكر المخطوطات « وقاموا العرب والرهبان بدو كلموا أولاد واصل حتى يجيبوا الملح لا (ن) الملح عليهم قالوا نحنا الملح ولاكن الربع بنصف فضه ما يكفى قاموا عملوا لهم الرهبان الأردب بثلاثين فضة .» (٢) ولكن ذلك النظام يجب أن يكون برضا الرهبان والاتفاق معهم . ويحدث أحياناً أن يصر الأعراب على جلب حطب قد لا يكون الدير بحاجة اليه . حينئذ يبدأ الصدام : فالأعراب يريدون أجرهم والرهبان لا يتسلمون الحطب . وتعقد « الشورى » للفصل فى الأمر وغالباً ما يمثل الأعراب لوجهة نظر الرهبان (٣) .

إلى جانب ذلك عمل البدو « غفرة » أى حراساً للدير ولقوافل الرهبان من الدير للطور أو العكس . وهؤلاء كانت لهم أجور يتفق عليها عن كل رحلة . وجاء فى احدى الاتفاقيات حول حراسة البدو للقوافل أنهم « رضوا واسترضوا من الرهبان بالعادة القديمة السالفة بالغفارة والزواد عن كل خطوه أربعة أنصاف فضة وربع دقيق بالطلعة والرجعة ورطل زيت طيب لا غير ..» (٤) وكان الرهبان أحياناً يعهدون بأمر الحراسة إلى قبيلة بأكملها على أن تتقاسم الأجر فيما بينها وبشروط خاصة . ومن هذه الشروط :

---

(١) مخطوط رقم ٢٢٥٨ (يونانى) — ص ٣٢٤ (١٠٦٩هـ - ١٦٥٨ م) .
(٢) مخطوط رقم ٢٢٥٣ (يونانى) — ص — ٢٣ (١٠٨٧ هـ — ١٦٧٦ م) .
(٣) نفس المصدر السابق .
(٤) مخطوط رقم ٢٣١٨ (يونانى) — ص ٦٥ (١٠٢٨ هـ - ١٦١٨ م) . وأيضاً نفس المرجع — ص — ٧٢ (١٠٤٦ هـ — ١٦٣٦ م) .

« ... وأن غفرة الصوالحة على الرهبان كل سنة فى آخرها فضة مصرية انصاف ثمانين وأربع ثياب خام حلاوى عوضاً عن ثوبين نابلسى خام يقسموها فيما بينهم . وكذلك غفره العليقات مثلها .. وكذلك غفرة أولاد سعيد مثلها ... واشترطوا على نفوسهم حراسة الدير المبارك والذب عن الرهبان بنفوسهم وردع من يتعرض لهم بالأسا والتشويش وأن لا أحدا من العربان يدخل الدير بسلاح ولا يسكن ولا يبات منهم أحدا جواً الدير ولا يدخل منهم للدير ولدا .. الخ »(١)

وأجر الحراسة كان يمنح عن سنة . ويختلف فى القيمة من سنة إلى أخرى . تبعاً للاتفاقيات مع الأعراب . ففى عام ١٠٥٥ هـ (١٦٤٥ م) مثلا كان أجر الحارس السنوى ٣ أو ٤ فضة ، وكسوة تتكون من « شاش غزاوى وطاقية »(٢) وقد يعطى الأجر عن كل ثلاث سنوات (٣). وكان تسليم الأجر والكسوة يتم بشهادة الشهود ويثبت كل ذلك بسجلات الدير . وقد يعهد الرهبان بحراسة الأديرة من سيناء إلى شيخ واحد يلتزم بذلك . وهنا تكون واجبات الشيخ شاملة لحراسة الأديرة والرهبان وقوافلهم الآتية من مصر إلى الدير وإلى الطور والزائرين كانوا يحضرون للحج إلى الدير. وجاء فى اتفاقية خاصة بالتزام من ذلك النوع :

« أن الشيخ زهو المذكور أنه ارتضاه برضاه واختياره أنه يكون غفيراً للدير طور سينا بسويت الغفرة الذين تقدموه وأشهد عليه الشيخ زهو المذكور أنه تدرك بالدير ودرب الدير ودرب الطور ودرب العنزة وجميع الرهبان وما لهم من الكنايس والغيطان بالجبل والدير وبساحل الطور وادى

(١) مخطوط رقم ٢٣١٨ (يونان) ص – ٦٥ (١٠٢٨ هـ – ١٦١٨ م) .
(٢) مخطوط رقم ٢٢٥٨ (يونان) – ص – ٤١ (١٠٥٥ هـ – ١٦٤٥م) .
(٣) نفس المرجع السابق .

فران وقفولهم والمتجهزة من مصر المحروسة إلى الدير وإلى الطور الجميع عاد فى دركه وفى عرضه وفى لزمه . . »(١)

وفيما يختص بالأجر ، يتم الاتفاق على أن « جماعة الرهبان المذكورين جعلوا إلى المقام العالى الشيخ زهو المذكور فى كل سنة ماية وخمسون نصف فضة معاملة مصر المحمية من غير زيادة ولا كسوة ولا شاى (شىء) كثير ولا قليل .. »(٢)

وفى الاتفاقيات التى كانت تعقد بين الرهبان والأعراب حول حراسة الدير وممتلكاته كان الأعراب يتعهدون بضمان بعضهم « ضمانة بنى عقبة » (٣) وفيها أيضاً توضح واجبات الحراس والتزاماتهم وأجورهم بكل دقة .. فمثلا :

« عليهم حفظ الكرم ورهبانه وأثارة ومهما يفسرق من الكرم يكون عليهم ويلتزموا به .. ولا يدخل الكرمة منهم سوى ثلاثة أنفس وثلاث أولاد لا غير ... ولا يدوروا بالليل وحدهم جواً الكرم ولا يلتقطوا شىء من البلح وكل شاى أن يسقط من البلح ومن الثمر على الأرض ليس لهم به شاى لا قليل ولا كثير ولما ينفضوا الرهبان الثمر ويقع منه شاى خارج عن القلعة لا يغيروا بخطفوه ولا يأخذوا منه شاى ...»(٤)

فحاجة الدير إذن إلى خدمات الأهالى ، والمصالح المشتركة بينهما ، قد حتمت قيام علاقات مبنية على أساس من حسن الجوار . ولعل ذلك قد دفع بالرهبان إلى تخصيص جزء من ديرهم ليكون مسجداً للمسلمين داخل القلعة ذاتها .

---

(١) مخطوط رقم ٢٢٥٨ (يونانى) – ص ٢٣٨ . (١٠٧٢ هـ – ١٦٦١ م) .

(٢) نفس المرجع السابق .

(٣) مخطوط رقم 2318A (يونانى) ص – ١٢٠ (١٠٧٢ هـ – ١٦٦١م) ؛ مخطوط رقم ٢٢٥٨ (يونانى) ص – ١٠٥ (١٠٧٢ هـ) ، ونفس المرجع ص – ٣١٥ (١٠٥٩ هـ) .

(٤) مخطوط رقم ٢٢٥٨ (يونانى) – ص ٣١٥ – (١٠٥٩ هـ – ١٦٤٩ م) . هناك أيضاً اتفاقيات شابهة جاءت بنفس المصدر فى صفحات ٩٧ – (١٠٥٩هـ) ؛ ١٠١ (١٠٦٨ هـ – ١٦٥٧) ١٠٢ (١٠٧٦هـ – ١٦٦٥ م) ؛ ١١٦ (١٠٥٣ هـ – ١٦٤٣ م) .

مصادر البحث

ـ مخطوطات أرقام : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦٩٥ ، ٦٩٦ ، ٩٦١ .
وهذه نسخ مختلفة للعهد النبوى الشريف الذى يؤكد الرهبان ارسال الرسول (صلى الله عليه وسلم) له اليهم .

ـ مخطوط رقم ٢٢٥٣ (يونانى) وبه بعض الأحداث والمعاهدات (باللغة العربية) مع مشايخ القبائل فى القرن السابع عشر .

ـ مخطوط رقم ٢٢٥٨ (يونانى) كالسابق

ـ مخطوط رقم 2318 A (يونانى) زاخر بحوادث اعتداءات الأعراب على الدير ورهبانه فى القرن السابع عشر (باللغتين العربية واليونانية) .

ـ مخطوط رقم ٢٣١٨ (يونانى) به بعض الأحداث والاتفاقيات مع مشايخ القبائل (باللغة العربية) فى القرن السابع عشر

ـ مخطوط رقم ٦٩٢ (عربى) عبارة عن كتيب حول تاريخ دير سانت كاترين .

ـ مجموعة فرمانات من العصر العثمانى من رقم ١٢٠ إلى ١٨٤ .
وهذه المخطوطات محفوظة بمكتبة دير سانت كاترين بسيناء .

لوحة رقم (١)

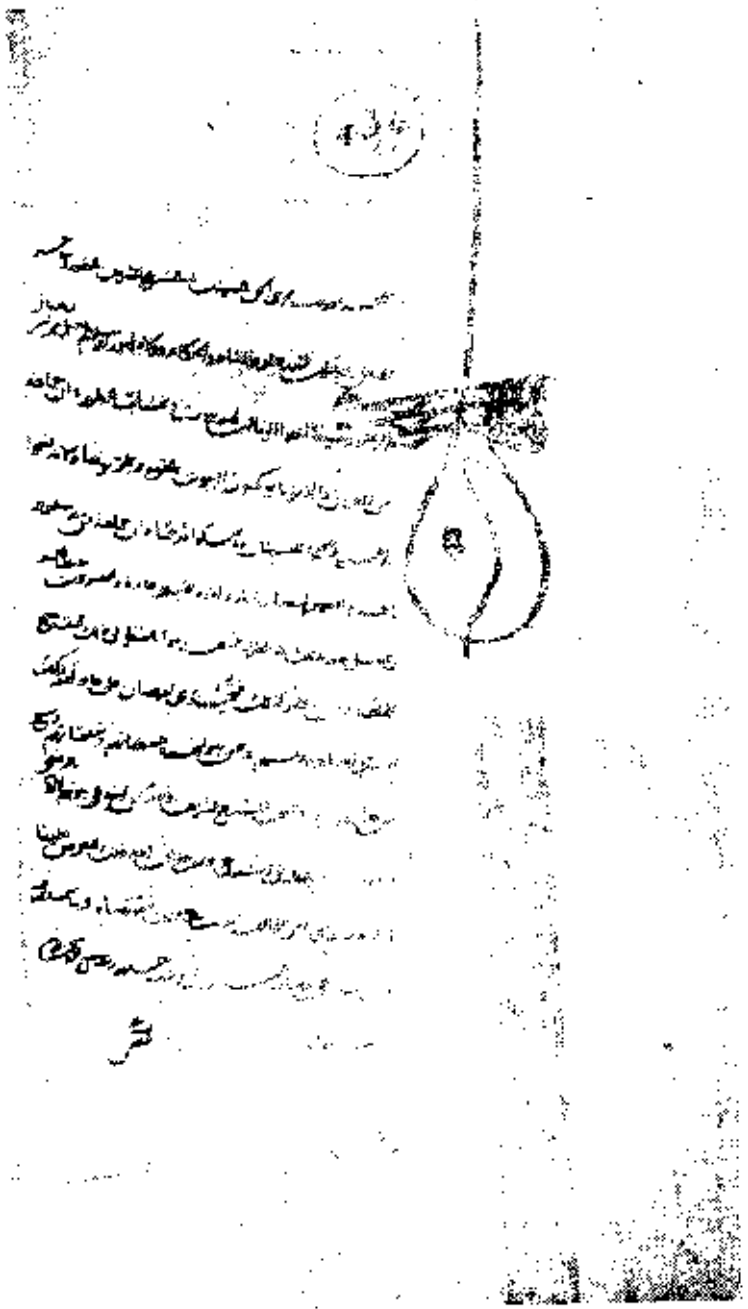

فرمان كتب في ٢١ رمضان سنة ٩٥٠ هـ (١٨ ديسمبر سنة ١٥٤٣ م)
(من محفوظات دير سانت كاترين)

لوحة رقم (٢)

فرمان كتب في ٢٠ رجب سنة ١١٢٠ هـ. (٥ أكتوبر سنة ١٧٠٨)
(من محفوظات دير سانت كاترين)

لوحة رقم (٣)

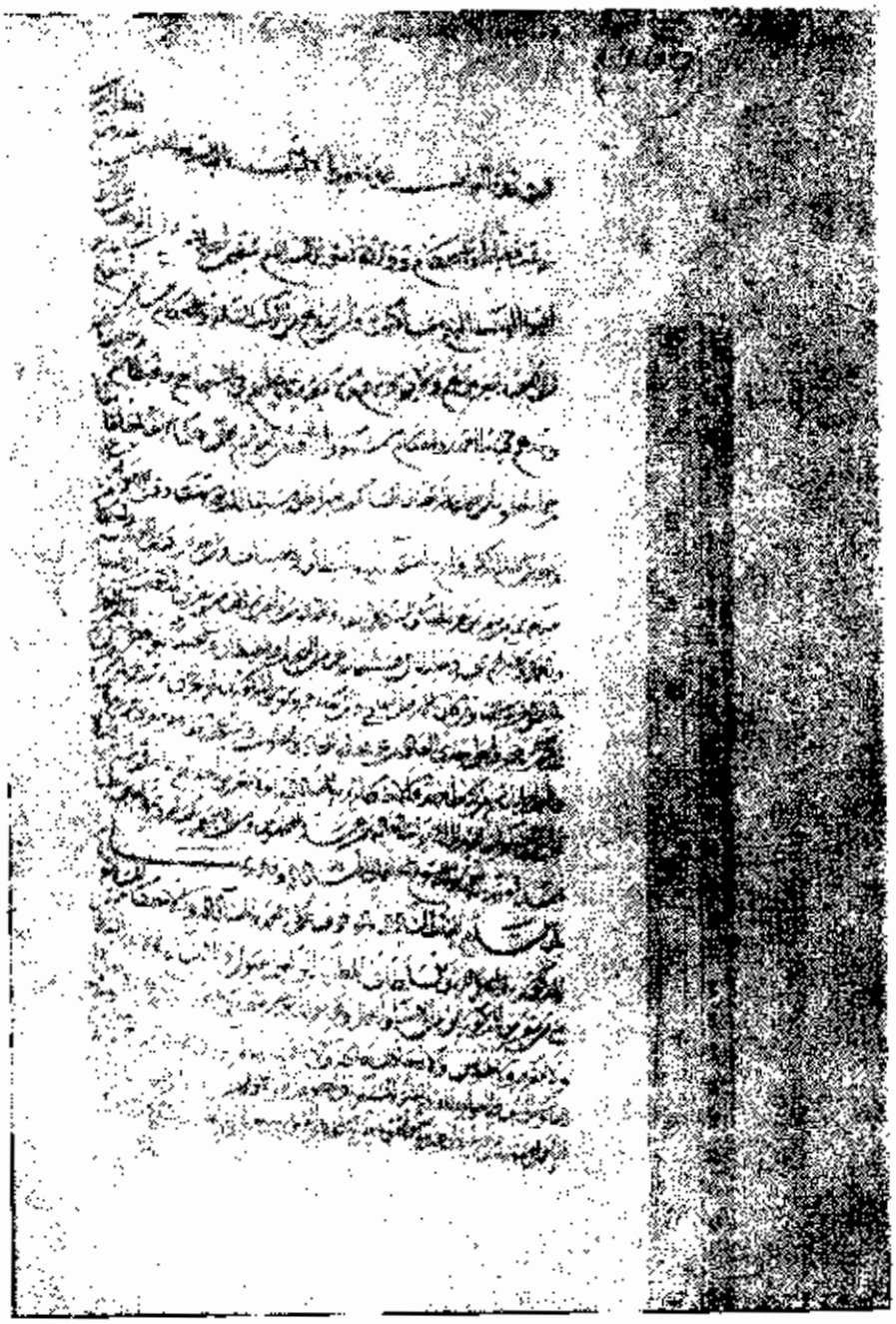

الرسالة فى عام ١٠٩١ هـ - ١٦٨٠ م
(من محفوظات دير سانت كاترين)

لوحة رقم (٤)

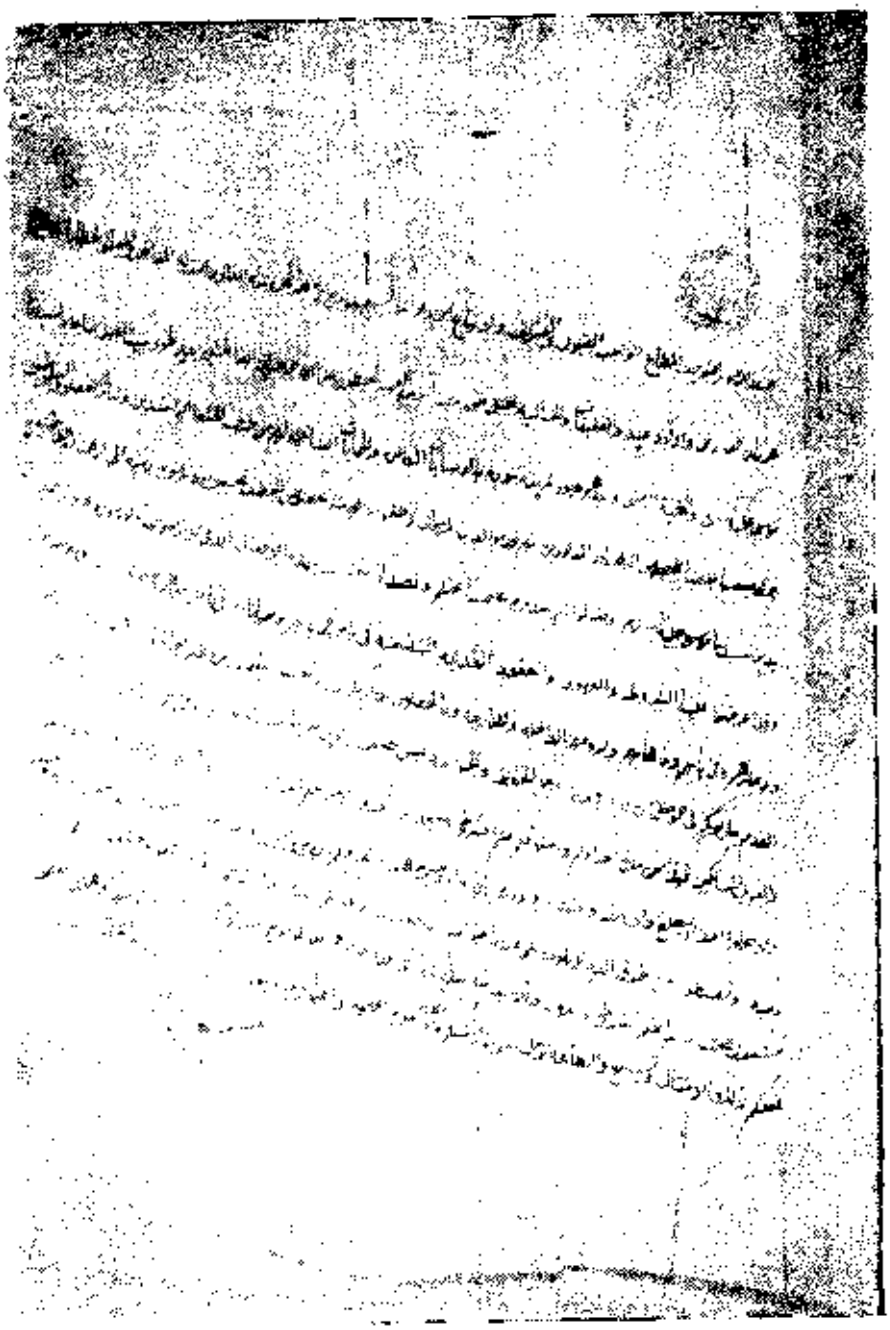

مرسوم محمد علي الى « مشايخ عربان الموادي وأولاد سعيد و تعليماتي و بخيتية . . يؤكد أن وهبان الدير . يبدهم عهود شريفة نبوية بالوصايات الكاملة والحمايات الشاملة حتى من طرف الخلفاء الراشدين وسائر الفضلا والسلاطين يؤكد بعضها بعضا ... » . ويهدد من يعتدي على الدير بالانتقام والاعدام . (كتب عام ١٢٣٤ هـ — ١٨١٨ م)

(من مخطوطات دير سانت كاترين)

لوحہ رقم ۱۱۱

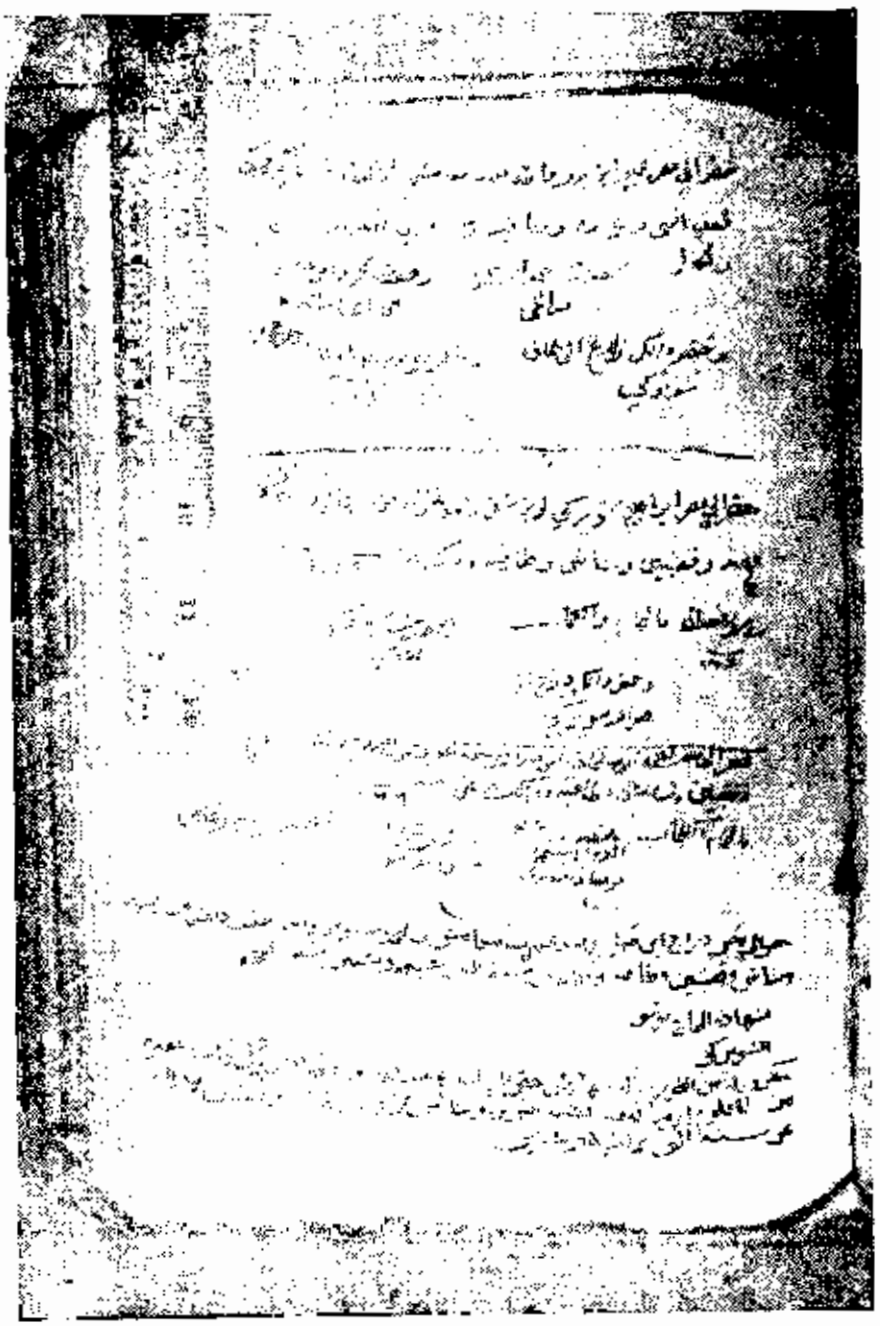

ایک لاکھ پچھتر ہزار تولہ اخر مہ (لندن)

(سب محفوظات دیر سنت کیترین)

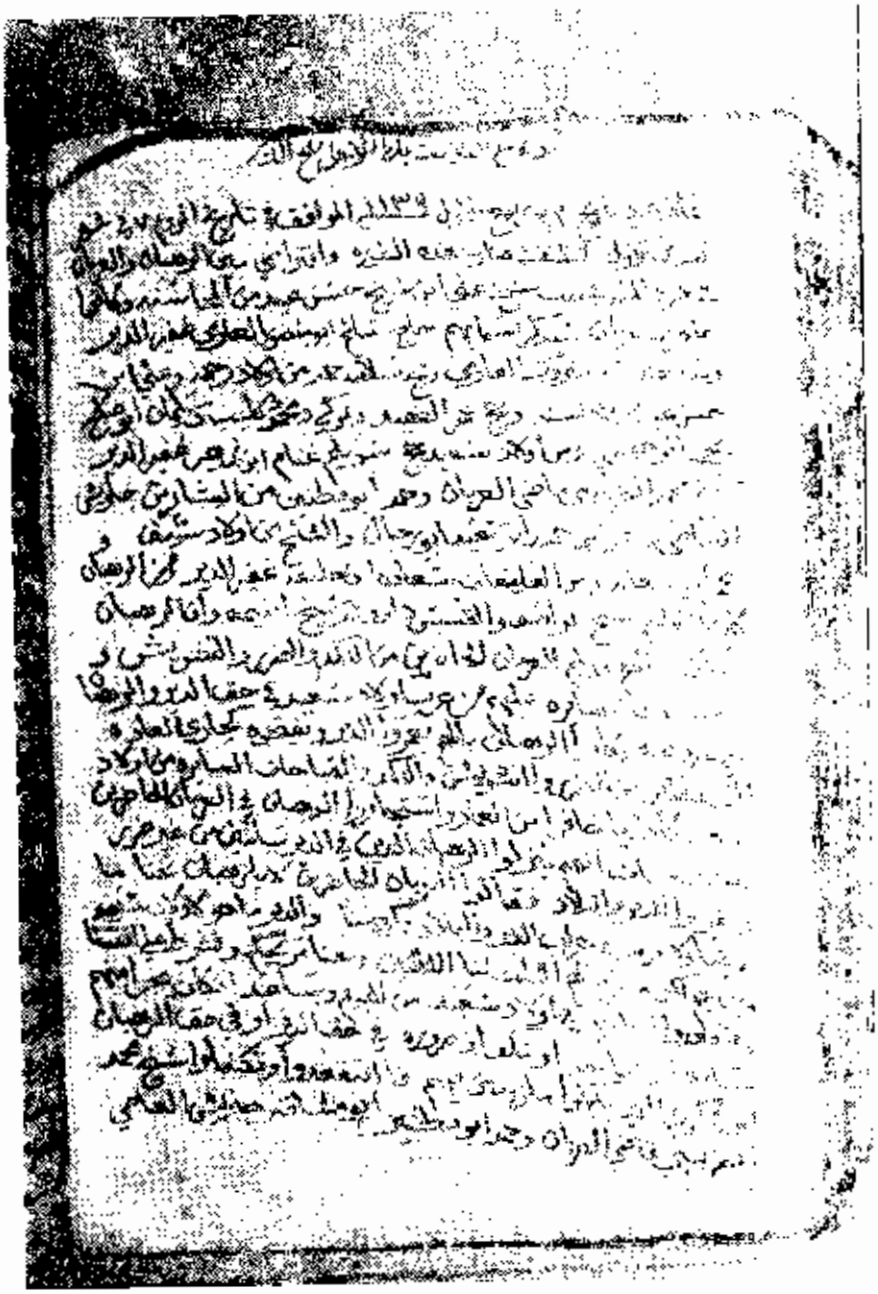

(من مخطوطات دار سنت كاترين)

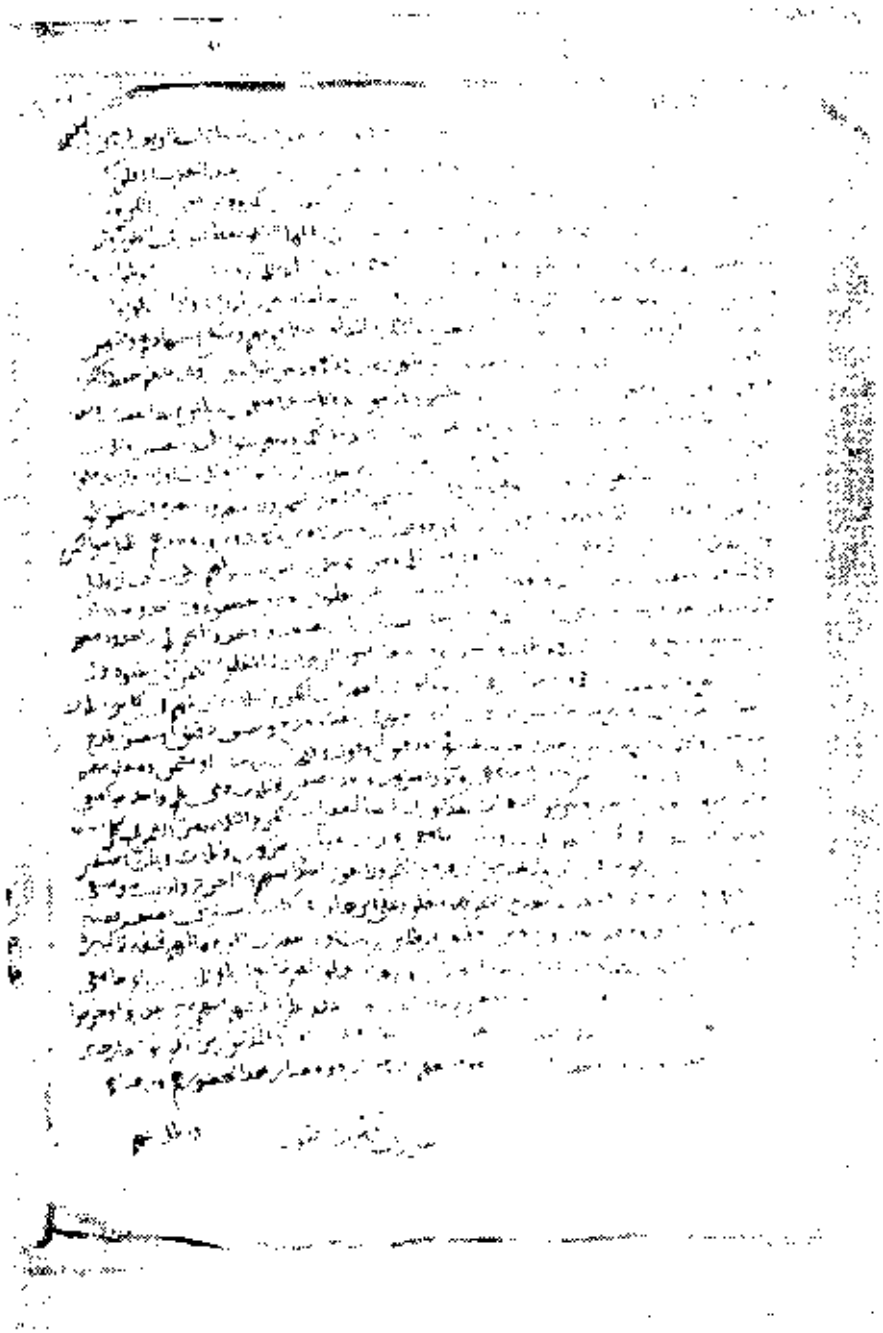

(نموذج) حجة شرعية لقصر بتاريخ ١٠٥٩هـ = ١٦٤٩م
(من مخطوطات دير سانت كاترين)